اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق
أحكام الشريعة الإسلامية

الزواج واجب ديني
وضرورة اجتماعية

تأليف الشيخ
علي خالد الشربجي
إدارة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، والصلاة والسلام على المبعوث بشيراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن تبعهم وسار على هديهم إلى يوم الدين .

وبعد ،،،،

فهذا بحث كتبته في موضوع : الزواج واجب ديني وضرورة اجتماعية . وقدمت بين يديه بتمهيد ذكرت فيه : تعريف الأسرة ، ومكانتها، وسبيل إنشائها ، وختمته بخاتمة ، تناولت فيها بعض مضار العزوبة.

تعريف الأسرة :

الأسرة في اصطلاحنا المعاصر عبارة عن الرجل ومن يعولهم من زوجة ، وأصول وفروع.

والأسرة في اللغة : تطلق على الدرع الحصينة، كما تطلق على عشيرة الرجل وأهله .

وهي مأخوذة من الأسر، وهو القوة ، وسميت بذلك لتقوي بعضهم ببعض.

ولم يرد لفظ الأسرة في القرآن ، وورد في السنة عند أبي داود في الحدود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ... " ثم زنى رجل في أسرة من الناس " .

والفقهاء قديما لم يستعملوا لفظ الأسرة بمعناه الحديث ، وإنما كانوا يستعملون مكانه لفظ الآل ، والأهل ، والعيال .

وما يعرف اليوم بأحكام الأسرة اصطلاح حادث ، والمراد بها مجموعة الأحكام التي تنظم العلاقات بين أفارد الأسرة الواحدة.

وقد تناولها الفقهاء قديماً في أبواب كثيرة ، كالنكاح ، والمهر ، والنفقات ، والنسب ، الطلاق ، والوصية ، والميراث وغيرها.

مكانة الأسرة :-

إذا كان الفرد هو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع ، فإن الأسرة هي الخلية الحية في كيانه، فإذا صلحت صلح الفرد ، وبصلاحه يصلح المجتمع ، وإذا فسدت فسد ، لأن الفرد جزء من الأسرة يتأثر بتربيتها ، وينطبع بطابعها ، ويأخذ جل صفاته ومقوماته منها.

قال الله تعالى : " ذرية بعضها من بعض " . (آل عمران : 34).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه". (رواه مسلم)

والفطرة : الحالة المتهيئة للخير .

لذلك أولى الإسلام الأسرة عناية فائقة ، ورعاها بالغة ، وشغلت الأسرة حيزاً كبيراً بين أحكام القرآن والسنة.

إن بناء الأسرة في الحقيقة وواقع الحال هو بناء المجتمع ، لأنه ما مجتمع بدائي أو متحضر، إلا والأسرة هي الركيزة الأولى في قيامه.

فإذا تهيأ لنا إقامة الأسرة على وفق المنهج الرباني الذي وضعه شرع الله عز وجل ، وراعينا أحكام هذا المنهج في كل خطوة نخطوها على درب تكوين الأسرة، نكون في الحقيقة قد أقمنا المجتمع الإسلامي الذي ننشده ، ونطمع فيه، وتهفو نفوسنا إليه، ونكون قد هيئنا كل الأجواء التي سوف تفتح صدورها لتقبل هذه الشريعة، والعمل على تطبيقها.

إن قضية الأسرة ينبغي أن تكون قضية كل فرد وكل عائلة ، وكل مجتمع ، وينبغي أن ينظر إليها الجميع من كل الزوايا على أنها الأساس الأول، والركن الركين لكل بناء وإعمار ، ووئام وسلام، وطمأنينة واستقرار ، وفلاح ونجاح، وسعادة ونعيم، فإذا انهدم هذا الأساس فهيهات هيهات أن يقوم على انقاضه كمال وجمال وسعادة واستقرار.

إن الصراع الذي نشهده اليوم في رحاب الأسرة والمجتمع من تناكر وتنافر بين كثير من الأزواج ، وعقوق وتمرد بين كثير من الأولاد، وشيوع للطلاق والسفور والتبرج والميوعة والتسكع والتخنث والأرق والقلق ، ما هو إلا ثمرة ونتيجة من ثمرات ونتائج إهمال شأن الأسرة، وفقدان رعايتها وإقامتها على الأسس التي وضعها رب العزة عز وجل لصالح عباده.

إن هذا الواقع ينبغي أن يلفت أنظارنا إلى ضرورة العودة إلى معين شرع الله الطاهر الحنيف، والإقبال عليه بكل جد وصدق لبناء حياتنا الأسرية ، لأنه هو الملاذ والملجأ لإصلاح حالنا ، وشفاء أمراضنا.

إن الحاجة اليوم ملحة أكثر من أي يوم مضى إلى العودة إلى دين الله عز وجل.

إن في الناس اليوم حنينا فطريا إلى بناء الأسر ، وإقامة المجتمع وفقا لروح الإسلام، وتلفتا دائبا إلى الأخذ بمكارم الأخلاق ، وتشييد البيوت الفاضلة التي ترتكز على منطلق العقل والإيمان لتتفادي تلك الصراعات القاتلة والأخطار الداهمة التي عانى الناس منها الأمرين.

إن واجب العلماء والمصلحين ، وأهل الحل والعقد من الأمة أن يعملوا متضافرين متعاونين على وضع الأسرة في مكانها الصحيح، والسعي بها إلى شاطئ السلامة والأمان، وأن يرفعوا كل الحجب التي حالت دون رؤية الناس أسباب مصالحهم وسعادتهم، وفتحت الأبواب لتسلل المآسي إلى أسرهم وبيوتهم.

إن أسباب العافية قريبة المنال، سهلة المأخذ ، وهي معدة في دين الله عز وجل وشرعه الحنيف.

وقديما قيل :

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الشفاء وما إليه وصول

كالعيس في الصحراء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

لكنا نقول : الشفاء قريب ، والوصول إليه ميسور ، فلنمد إليه الأيدي ولنحث نحوه الخطى.

سبيل تكوين الأسرة :-

الأسرة ضرورة حتمية ، وواضع حياتي لاغنى عنه، ولا مفر منه ، لأنه سنة الله تعالى في عباده ، وحكمه النافذ فيهم.

وطريق وجود الأسرة هو الزواج المشروع بآدابه وأحكامه التي فرضتها الأديان ، وسنتها شرائع الله عز وجل ولا سيما الإسلام.

فالزواج بمعنى اقتران الذكر بالأنثى سنة الله الماضية في التكاثر والانتشار بين عناصر الخلائق الحية.

وهذا الزواج يتم بين الخلائق الحية – غير البشرية – بصورة غريزية ، وهو النهج الأنسب والأصلح بالنسبة لبقائها وتكاثرها ، وأداء وظائفها ، كأدوات في تحقيق غاياتها ، ومن جملة الغايات إقامة حياة البشر ، وتحقيق مصالحهم.

والذي يجزم به العقل، ويصدقه الواقع أن يد الخالق الحكيم بادية في إيجاد وتنظيم هذه الخلائق الحية ، وإحكام العلائق بينها ، وترتيب الدوافع لها ، وإيجاد النتائج من ورائها.

كما أن العقل يقطع بأن سنن الحياة تسير ضمن أفلاكها وأنفاقها وأسرابها متعاونة متساندة لتحقيق الغايات المقصودة منها.

ثم إن العقل ليجزم أن الإنسان هو الهدف المنشود الذي أرادت حكمة الرب عز وجل أن تتجلى فيه عظمة الرب، وتظهر فيه، وله آثرا أسمائه وصفاته، فهيأت له يد القدرة الحكيمة كل مناخ، وشيدت له كل سبب ليرقى هذا المخلوق الفذ الوحيد إلى مستوى الغاية ، ويسمو إلى سدة الهدف.

وهذا جلي يدركه العقل ، ولا يحتاج في فهمه حتى إلى أدلة الشرع، وإنما جاء الشرع في هذا المجال مذكرا حتى لا يقع العقل فريسة الغفلة ، فينفلت زمام الوعي من يديه.

قال تعالى : " والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغية إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون " . (النحل 5–8) .

وقال : " وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" . (النحل 14).

وقال : " أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون " (يس : 71– 73) .

إن العقل يحتاج إلى بيان الأربطة التي تصل العرى، وتشد بعضها إلى بعض، وإيجاد المواد التي يحكم إقامة البنيان بسببها، واللافتات التي تشير إلى الطريق السوي.

لقد جاءت رحمة الرب عز وجل على هذا الإنسان بالشرائع التي تحفظه من الزيغ، وتجمعه على الهدى ، وتشد أزره على الدرب، وتحرسه من تسلل الأخطاء والأخطار، فكانت الأوامر الإلهية لهذا الإنسان باتباع مناهج الدين، وأحكام الشرع.

قال الله تعالى : " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء" (الأعراف : 3) وقال :" وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلك تتقون " (الأنعام : 153).

الزواج واجب ديني وضرورة اجتماعية :

إن الزواج واجب ديني، وضرورة اجتماعية لأنه متعين طريقاً لبقاء هذا النوع الإنساني على ظهر هذه الأرض خليفة صالحاً، وناعماً سعيداً ، وبناء سليما، ومنتجا نشيطاً ، ورحيما معطاء.

إن الزواج الشرعي في محيط البشر ضرورة اجتماعية وواجب ديني لأنه الوسيلة النظيفة السليمة لبقاء هذا الإنسان وامتداد وجوده على طول الزمان وعرضه وعمقه.

إن الله عز وجل خلق الرجل مجهزاً بدوافع الرغبة إلى المرأة ، ومزوداً بعناصر الإخصاب وخلق المرأة وجهزها بدوافع الرغبة إلى الرجل ، وزودها بعناصر الإنبات، وأوجب اقتران أحدهما بالآخر بالأسلوب الشريف البناء، ورتب على ذلك تكاثر هذا النسل وانتشاره ليزرع الحياة، ويعمر الدنيا، ويؤدي المهمة في فرصة الأجل الممنوح له.

قال تعالى : " نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين " (البقرة : 223).

إن الأدلة في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي تأمر بالزواج، وتدعو إليه. وتذكر مبررات الرغبة فيه، والإقبال عليه كثيرة، هذه بعضها :

" وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم "(النور : 32) .

" فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " (النساء : 3) .

" فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف " (البقرة : 232)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء " (أخرجه البخاري ومسلم) .

وقال : " أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (أخرجه البخاري ومسلم) .

وقال : " إذا جاءكم من ترضون دينيه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد "(أخرجه الترمذي) .

وقال : " الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة ". (أخرجه مسلم) .

وقال : " ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب يريد الأداء، والناكح يريد العفاف " (رواه الترمذي) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل " (رواه البخاري ومسلم) .

والتبتل : الانقطاع عن النكاح .

وعن سعيد بن جبير قال : قال لي ابن عباس رضي الله عنه : هل تزوجت ؟

قلت : لا . قال : فتزوج، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء.(أخرجه البخاري) .

وقال الله تعالى : " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية" (الرعد : 38).

وقال : " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (الروم : 21).

وقال : " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن " (البقرة : 187) .

وقال : " خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء" (النساء :1) .

فالرجل والمرأة من حقيقة واحدة، ومن جنس واحد، والجنس إلى جنسه أميل، وفيه أرغب، وبينهما من التجانس والتلائم والتجاذب والتحابب. ما يدعو بعضهما إلى بعض ليحصل الغرض، ويتحقق الهدف الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى.

قال تعالى : " وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى النجم " (45-46).

إن الزواج –بصرف النظر عما صنفه الفقهاء من أحكام وصفوه بها من وجوب وندب وغيرهما–واجب دينى وضرور ة اجتماعية وسنة من سنن الله في عباده سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " (الفتح:23) ولن تجد لسنة الله تحويلا (فاطر: 43) وقال: فطرة الناس عليها لاتبديل الخلق الله (الروم:30)

إن كون الزواج واجبا دينيا وضرورة اجتماعية يتجلى في النقاط التالية:

أولا :- إيجاد السكن النفسى والاستقرار الروحى والأنس الاجتماعى.

وهذا كله لايوجد إلا فى ظلال بيت الزوجية ، ورحاب الأسرة وتبادل العواطف بين الرجل والمرأة فى مسكن شريف,وعلاقة كريمة, فالزواج الموفق حضن السعادة, وعش الاستقرار,وواحة الإنس، ودرع الوقاية من الأرق والقلق، والهواجس القاتلة،والأحلام المزعجة.

إن حديث سمر بين الزوجين في أمسية هادئة حالمة ناعمة تخلع حياتهما من جو الكرب في هذه الأرض لتطير بهما في عوالم الأرواح العلوية الطاهرة وتحلق بهما في فضاء الأنس والنعيم الذي لا حدود لشواطئه.

وإن جلسة على مائدة إفطار أمام باقة ورد، أو أنغام طير، أو دغدغة طفل لتجعل من هذه الدنيا جنة النعيم العارمة.

وإن رحلة على متن سيارة فارهة لزوجين اليفين بين الغياض والرياض والضفاف، لتعدل كل المتع مجتمعة ومنفردة في هذه الحياة الدنيا.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: " ألا أخبرك بما يكنز المرء؟ المرآة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته" (رواه أبوداود، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى).

وقال عز وجل:" ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم:21).

واستمع إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو يرسم صورة العلاقة بين الزوجين بحيث تعجز ريشة أكبر فنان أن تعبر عن هذا المعنى بأدق مما حوته هذه الآية المباركة:"هن لباس لكم وأنتم لباس هن"

سرح الطرف مما شئت في أشكال هذا اللباس وألوانه وأغراضه، وفوائده فسيظل المدى أوسع والأبعاد أعمق، والأطياف أحلى وأزهى. وسيرجع البصر إليك حصيرا كليلا عن الاحاطة والاستيعاب.

قل لي بربك هل تجد هذا الإنس ، والهدوء ، والسرور ، في مخبأ موحش ضم – والعياذ بالله– زانيا وزانية ، خيم عليه غضب الله ، وخوف الناس ، والشعور بالإثم ، والقلق من العواقب .

قال تعالى : " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا " (الإسراء : 32)

نعم إن الزواج بالنسبة للزوجين أفخر أنواع الملابس التي تقي الحر والبرد . وتستر المعايب وتحفظ من عاديات الأذى، وتصون الشرف والعرض ، وتوفر الراحة والأنس، فهل هذا الزواج ضرورة دينية واجتماعية ... ؟ نعم ، وألف نعم.

لكن ينبغي أن نلفت نظر الرجل والمرأة قبل الزواج أن يسترشدا بنور الإسلام وأضواء الشرع في صياغة حياتهما على نور الله ، وآداب دينه ويتعلما من أحكام هذا الدين ما يكون سياجاً لوقاية هذا الزواج من تسرب الرياح العاتية إليه، ودخول الشيطان فيه.

ثانياً :– الاستجابة لنداء الفطرة في تحقيق الوطر ، واقتناص اللذة :

إن الله عز وجل خلق اللذائذ في هذه الدنيا ، ووزع فيها المباهج ، وزرع في جوانبها صور الجمال ، وأبدع في ساحاتها أشكال الأغراء ، كل ذلك لأهداف وأغراض تكتنفها الحكمة من كل نواحيها.

فالطعم الجميل والرائحة الجميلة ، والصوت الجميل، والمنظر الجميل ، والروح الوديعة ، والطبيعة الفاتنة، والقوام الممشوق كل ذلك يشد الإنسان إليه، ويجذبه نحوه، سواء كان رجلاً أم امرأة . لأن الله عز وجل جعل في كيان هذا الإنسان كل المدارك لكل ما في الحياة من جمال وإبداع ، وفتح فيه كل النوافذ للوصل إليها والوقوف عليها،والرغبة فيها.

والله عز وجل فضلا منه ورحمة لم يحرم على الإنسان الاستجابة لهذه المباهج والمتع ولم يكبت الدوافع إليها ويحرم الإنسان من الاستفادة منها ، والتنعم بها ولكنه نظم طريق الوصول إليها ، ومنع الفوضى في الاستفادة منها ، وأقام حول أسوارها الرقابة لتمنع الشذوذ والتعسف ، ولتظل نعماً مفيدة ، ولا تنقلب بالفوضى والشذوذ بلاء ونقما.

قال الله عز وجل : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك

نفصل الآيات لقوم يعلمون، قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" (الأعراف 32-33) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون " (أخرجه مسلم) .

إن الله عز وجل خلق هذا الإنسان ، وغرز في كيانه بذور الغريزة الجنسية، وركز فيه ذلك التطلع إلى المرأة ، والرغبة فيها ، كما جعل مثل ذلك في كيان المرأة وفطرتها.

ولما كان الإسلام دين الفطرة يستجيب لها ، وينظم مجراها شرع الزواج تلبية لهذا النداء العميق المستقر في أعماق هذا الإنسان وكيانه ، وجعل الزواج هو الطريق الوحيد الذي يعبر عن إشباع هذه الرغبة وإروائها.

فلم يكتبت شرع الله هذه الغريزة ، ويحطم كيان هذا الإنسان، ويحرمه من لذة هو خلقها فيه بتشريع الحرمان من الزواج، والدعوة إلى الرهبنة والتبتل.

روى سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل . (أخرجه الترمذي).

وروى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل . (أخرجه مسلم).

لكن دين الله عز وجل لم يلق حبل هذه الغريزة على غاربها ... ولم يترك الإنسان حراً طليقاً في إشباع نهمه الجنسي بحيث يفسد نفسه

وغيره، ويبدل نعمة الله كفراً ، فيضر بالأخلاق ، ويهدم البيوت والأسر، ويفتح الباب واسعاً لغواية الشيطان ووساوسه ، وإنما وقف الموقف المتوسط المعتدل ، فاستجاب لنداء الفطرة ، ونظمها بحيث تؤدي دورها النافع البناء في استبقاء القيم ، وإرواء النهم.

إن الله عز وجل حرم أي صورة من صور اجتماع الرجل بالمرأة على غير أساس الزواج المشروع ، وقد نص القرآن على ذلك في كل من جانبي الرجل والمرأة على السواء ، وركز على وجوب استبعاد ما يمكن أن يشيع بين الرجال والنساء من صور السفاح والمخادنة بعد ذكر الإحصان الذي يدل على أن غيره رذيلة ممقوتة، مهما زخرفها الشيطان، وبهرجها الهوى.

قال الله تعالى : " وأحل لكم ما وراء ذلك أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان " (النساء 24) .

وقال : " والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان " (المائدة : 5) .

وقال : " وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذي أخدان" (النساء 25) .

والمراد بالأجور هنا : المهور ، فالمهر فرض على الزوج وهو حق للزوجة.

فإذا كان السفاح حراماً ، والمخادنة ممنوعة سواء كان ذلك من جانب الرجل، أم من جانب المرأة ، أم كان ذلك برضاهما جميعاً ، لأن ذلك لا يليق بكرامة هذا الإنسان وحرمته، فلم يبق لتحصيل اللذة ، وقضاء الوطر إلا الزواج المشروع ، فتعين ، وكان ضرورة اجتماعية ودينية بمقتضى كتاب الله ، وتوجيه شرعه.

ثالثاً : المحافظة على النوع البشري سوياً سليماً :

لقد جرت سنة الله تعالى في عباده ألا يكون إنسان إلا من أبوين : رجل وامرأة ، فإذا علمنا أن دين الله تعالى قد حرم أي اقتران بين رجل وامرأة إلا على أساس الزواج المشروع علمناً أن ذلك يعني أن الإسلام قد حصر حفظ النوع البشري وبقاءه بالزواج ، فلو حرم الزواج لا نقرض البشر ، ولو أباح السفاح لكان هذا البشر شقياً مريضاً ، والله سبحانه وتعالى يحب لعباده الخير ، ولا يحب لهم الشر.

قال الله تعالى : " إن الله بالناس لرؤوف رحيم " (البقرة 114) .

رابعاً – تحقيق الشعور بالديمومة والبقاء :

لقد أودع الله عز وجل في كيان هذا الإنسان غريزة حب البقاء والاستمرار ، وإذا كان الإنسان في الحقيقة وواقع الحال لا يستطيع مواكبة الزمن ومسايرة الحياة

إلا فترة قصيرة، فإنه بواسطة ذريته وسلالته يجد امتداد طبيعياً لخلوده ، وحفظ اسمه ونسبه ، لهذا أنار الله بصيرة هذا الإنسان، وشحنه بالميل إلى حب الولد ، وولد الولد . والسعي إلى تحصيله ، وقد ضرب الله عز

وجل المثل بزكريا عليه السلام حيث ظلت نفسه حية تحب الولد على الكبر في السن ، والضعف في الجسم.

قال تعالى : " وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين " (الأنبياء 89-90) .

وقد لبى الدين هذه الرغبة ، وحث على الزواج لطلب الولد ، وعده متعه لوالديه ، وذخراً لهما في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : " المال والبنون زينة الحياة الدنيا "(الكهف 64) .

وقال : " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين " (آل عمران 14
) والمزين لهذا إنما هو الله تعالى ، بما أودع في قلوب عباده من حب ذلك والرغبة فيه والسعي إليه.

وروى أبو داود عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال ، وأنهال لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.

وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " (رواه مسلم) .

وقد دعا الله عز وجل عباده أن يتوجهوا إلهي في طل بالولد الصالح ، والذرية الطيبة التي يكون فيها الشعور بالبقاء ، والسعادة.

قال تعالى : " والذين يقولون ربا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين أماماً " (الفرقان : 74) .

قال الإمام الغزالي : لقد أودع الله تحت تلك الشهوة حياتين : حياة ظاهرة ، وحياة باطنة.

فالحياة الظاهرة : حياة المرء ببقاء نسله ، فإنه نوع من دوام الوجود.

والحياة الباطنة : هي الحياة الأخروية ، فإن هذه اللذة ، أي لذة الجماع تحرك الرغبة إلى اللذة الكاملة في الآخرة . (الإحياء 2-31) .

فإذا كان كل هذا الذي ذكرناه لا يتم ولا يحصل إلا بالزواج المشروع علمنا حق العلم أن الزواج واجب ديني وضرورة اجتماعية .

خامساً : أمداد المجتمع الإسلامي بنسل صالح ونشئ مهذب :

إن الإسلام رغب في كثرة النسل ، ودعا إليه ، وجعله من بين أهدافه ومقاصده ، في إنشاء المجتمع المهيب المرهوب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة " .

ودعا القرآن إلى الزواج ، ووجه نظر الأولياء إلى تزويج أبنائهم وبنانتهم تحقيقاً لهذا الغرض.

قال الله تعالى : " وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله "(النور : 32) .

إن إمداد المجتمع بنشئ صالح يولدون في ظلال أسرة تقية نقية بين أبوين حانيين عطوفين شفيقين يعرفان كيف تصاغ عقول هذا النشئ وكيف تربي مواهبه ، وتنمي ملكاته ، وتهذب عواطفه ، وتشد عضلاته أفضل للمجتمع من إمداده بأولاده ألقت بهم المخابئ المظلمة ، وكانوا ضحية النزوات المحرمة الطائشة .

إن من المشاهد أن المجتمعات التي تكثر فيها الفاحشة ، وينتشر فيها الزنى يكثر فيها الأولاد غير الشرعيين ، فيلقون في الأزقة ، حتى يجدوا عابر سبيل يلمهم مع القمامة ، ويضعهم في الملاجئ التي لا تزيدهم مع الأيام إلا عقداً وشقاء، ولا تؤهلهم إلا للكراهية العاتية ضد الحياة والأحياء .

إن الزاني لا يربطه بولد الزني أية رابطة من نسب ولا عطف ، ولا إحساس بوجوب رعايته والبحث عنه ، والإحسان إليه.

إن الزنى يحلم كلا البلاء والعداء للنسل والذرية ، وكل المضرة والفساد للأمة والمجتمع.

قال الله تعالى : " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا " (الإسراء : 32) .

إن الزاني لا هم له إلا تحصيل اللذة العبارة الخالية مت تحمل أية مسئولية تجاه الضحية ، وتجاه من دنس شرفها ، وانتهك عرضها ، ولوث سمعتها . ولا شك أن الزانية هي أيضاً قد فقدت ضميرها ، واستهانت بشرفها وباعت كرامتها وإنسانيتها بشهوة رخيصة ، ونزوة

عبارة ، وما أجدر الزناة من الجنسين باحتقار المجتمع لهم ، والازدراء بهم ،

قال الله تعالى : " والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهاما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين " .(النور : 2-3) .

إذا كان الزواج الشريف الموفق هو الدرع الواقي من الرغبة في الزنى والوقوع فيه، فإن الزواج والحالة هذه ضرورة دينية واجتماعية لا يشك فيها عاقل بصير . ولا غيور شريف.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه لم وجاء " (رواه البخاري ومسلم) .

وقال الله عز وجل : وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله". (النور :33) .

سادساً : الحفاظ على الأخلاق من الهبوط والانهيار، وعلى المجتمع من الخراب.

إن الإنسان إذا منع من الزواج المشروع تاقت نفسه إلى تحصيل حاجته من الطريق الممنوع ، ولا يخفي على عاقل ما في السفاح والزنى من

فساد الأخلاق ، وخراب الأسر ، وهتك الأعراض ، وانتشار الأمراض ،وقلق النفوس والأرواح.

إن المتحضر الذي صاغه الدين وصانه لا يمكن أن يسلك طريق البهائم ، وينزو كالوحوش ، بغير وازع أدب ، ولا تأنيب ضمير ، وإنما عليه أن يسلك بما يتناسب وإنسانيته التي نالت حفظاً من تكريم الله تعالى . " ولقد كرمنا بني آدم " (الإسراء :70) لتحقيق النتائج التي توخاها الدين في إقامة هذه الحياة . والقانون السوي الذي تصلح به الحياة ، ويقوم به العمران، وتصان به الفضيلة ، وتزول به الرذيلة إنما هو الزواج الشريف. فيه تتحقق المقاصد السامية التي تنأى به عن الحيوانية وتبتعد به عن العدوان والانحراف.

إن من مقاصد الزواج ، وتكوين الأسرة سلامة المجتمع من العلل والأدواء التي تهدده في كل لحظة بالزوال والاضمحلال، وسلامته من الأمراض التى تنخز فى كيانه، وتطحن أفراده، وتفتك فى أبنائه، نتيجة شيوع الفاحشة، والانغماس في حمأة الرذيلة. فإن هذه العيوب والمآسي ، والأخطار والدواهي كلها متفشية في المجتمعات المتحللة . التي عزفت عن الزواج، وآثرت الفواحش. وما هذا الغول المخيف (الإيدز) عن إدراك الناس وأذهانهم ببعيد ، وصدق الله عز وجل إذ يقول : " فاعتبروا يا أولي الأبصار " (الحشر : 2).

سابعاً :- تكوين ملكة المسئولية وإزكاء روح القيام بالواجب الديني والاجتماعي :

إن من أهداف الزواج ومقاصده رفع روح الفرد وضميره إلى مستوى المسئولية الكاملة المترتبة على هذا الزواج الشريف، وهذا واجب يصيب الزوج والزوجة ، حتى الأفراد الآخرين في داخل الأسرة ، فالزوج مطالب بالسعي الدائب وراء الرزق وتأمين الكفاية لأسرته وأيما تأخير أو تقصير يصيب الأسرة بمضرة أو معرة يعد هذا الزوج مؤاخذاً به ومسئولا عنه في الدين والدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت" (رواه أبو داود) .

وإلى جانب المسئولية المادية هناك أيضاً المسئولية المعنوية ، فإن واجب الزوج في رعاية أسرته من الناحية الخلقية والروحية والنفسية لا تقل عن واجبه من الناحية المادية والمعاشية . بل هي تفوقها ، وتسمو عليها.

إن الزوج الراشد العاقل الذي يعيش في ظل آداب الإسلام ، ومجتمع الإسلام ليجد نفسه مسئولا عن أسرته، وعن السعي إلى رفع مكانتها من كل النواحي، وهو في تمام الاستعداد لتحمل التعب والنصب والأذى في سبيل إسعادها وتهيئة المناخ السامي لها، والنهوض بها إلى المستوى الذي يجعلها خلية حية تتفاعل مع المجتمع وتؤدي دورها في خدمته، والإحسان إليه. والزوجة ، وهي قرين الزوج وشريكته في تكوين الأسرة – وإن كانت لا تكلف عبء السعي لتأمين المعيشة ، فإنها تكلف ببذل غاية الجهد لتأمين الفضيلة ، وتكوين الخلية الراقية ، وصرف الرذيلة

عن رحاب الأسرة ، فهي عضو فعال ، لا تقل أهميتها عن الرجل في تحلم المسئولية ، والشعور بالواجب.

فالزواج الشريف يضع المرأة على منصة المسئولية ، ويحملها في خدرها واجب الخدمة، والقيام بالرعاية ، وأداء الأمانة ، وبذل الجهد في نصح الزوج والأسرة، ومن ثم نصح المجتمع والأمة.

والأولاد في أحضان الأبوين، وداخل الأسرة هم أيضاً أعضاء عاملون ملتزمون برعاية الأدب ، وصيانة الفضيلة ، وحراستها من تسلل الرذيلة والإهمال والفوضى إليها.

إن الإسلام يسعى من وراء الزواج إلى تحقيق هذه المقاصد كلها ، وهي نتيجة من نتائجه المباركة الطيبة .

لا شك أنه إذا تحقق هذا التعاون البناء بين أفراد الأسرة سرى في كيانها روح العزة والكرامة ، وتوفر لأفرادها ضمان الناشئة ، وشرف النفس، وكرامة الخصال.

إن هذا المنبت الكريم ، والمسئولية العظيمة لا تتوفر في بيوت الزنى والسفاح ، ولا بين لقطاء الشوارع والأزقة ، ولا يتمتع أخدان السوء بهذه الشيم ، ولا يشعرون بهذه السعادة والطمأنينة ، ولا يجدون ضرورة لتحمل أية تبعة أو مسئولية ، وإن ترتب على نزواتهم الطائشة ، وصلاتهم الخبيثة خراب الأمة ، ودمار المجتمع.

إن ضغوط المطالب المترتبة على الزوجين ، وثقل الأعباء الملقاة على كواهلهما وكثرة الواجبات التي تصرخ بين أيديهما. والضرورة التي

تناديهما صباح مساء أن هلم إلى الواجب، واحذرا التفريط والتقصير ، إن هذا كله يعجن طينة الزوج بالمسئولية ، ويصوغ عجينة المرأة بالواجب ويضع القرينين الشريكين أمام محك الامتحان والاختبار ، وما من أحد عاقل يحب الفشل وخيبة الآمال.

وقد قرر ديننا الحنيف هذه المسئولية ، وسعي إلى إيجادها وقيام أسبابها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا كلكم راع ومسئول عن رعيته ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع ، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهله ، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، ومسئول عن رعيته " (أخرجه البخاري) .

من هذا كله نعرف حق المعرفة أن الزواج واجب ديني وضرورة اجتماعية.

ثامناً :– توسع دائرة القرابة ، وبناء دعائم التعاون.

في الزواج تمتد رقعة القرابة ، وتتسع دائرة النسب، فتلتقي عائلتان، ويجتمع شمل أسرتين، وتنشأ بينهما بسبب المصاهرة روابط جديدة وقرابات حادثة ، ومحبة متبادلة ، وهذه أغراض مقصوده للدين، وأهداف محبوبة ، وهي أمور مشاهدة بين الأسر المتناسبة.

قال الله تعالى : " وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهراً " الفرقان :54

وهذا من باب المن والفضل على العباد ، حيث خلقهم ، وجعل لهم قرابتين تربطان بينهم : قرابة النسب ، وقرابة المصاهرة .

وقال عز وجل : والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات " (النحل 72).

من أنفسكم : من جنسكم ، وفي هذا من ، لأن الجنس أميل إلى جنسه ، وبه آلف.

حفدة : قيل : هم أولاد الأولاد ، وقيل : الأصهار : أختان الرجل على بناته، وأصل الحفدة عند العرب : الأعوان ، وأيا كان المراد بالحفدة فإنهم ثمرة الزواج ، ومادة القرابة والتعاون.

وبالزواج يتم التعاون بين الزوجين ، فالزوجة تعين زوجها في شئونه ، في مأكله وملبسه ومسكنه، وتربية أولاده ، ورعاية بيته ، والزوج يعاونها في تأمين حاجاتها، وتحصيل نفقتها، والدفاع عنها ، وحمايتها، والمحافظة على عرضها، والإسلام دين التعاون والتكافل وقد شرع الزواج لتحقيق مثل هذه الأغراض الشريفة، والمطالب المفيدة، ومن هنا يظهر أن الزواج واجب ديني، وضرورة اجتماعية.

تاسعاً :- تحقيق العبودية لله تعالى :

ففي الزواج استجابة لدواعي الدين ، ومتطلبات الفطرة .

فالله عز وجل جعل الزواج الوسيلة الصالحة لوجود الإنسان، وانتشاره في هذه الأرض.

وجعل بيت الزوجية هو الحضن الذي يتربى فيه هذا الإنسان، وينمو فيه.

وجعل الأبوين مسئولين عن هذا النشء ، والقيام برعايته والعناية به، ليتأهل هذا الإنسان بحسن التربية والرعاية لدوره البناء في عمارة هذه الأرض، وإقامة دعائم الحق والعدل فيها.

لذلك طالب ربنا عز وجل عباده بتشييد دعائم الزواج والسعي في تحصيله.

قال الله تعالى : " وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " (النور 32) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المتكلم بلسان الوحي : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج، ومن لمن يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " (رواه البخاري ومسلم) .

ولمن يرض النبي صلى الله وسلم لبعض أصحابه أن ينقطعوا للعبادة ، ويتركوا الزواج ، بل أرشدهم أن الزواج عبادة، وأنه من سنته صلى الله عليه وسلم.

فالإقبال على الزواج بدافع الاستجابة لهذه الأوامر ، والتطبيق لهذه التكاليف ، لتوخي أغراض الزواج ، لا شك أنه يعني الطاعة لأوامر الدين وتوجيهاته ، والطاعة هي العبادة ، التي فرض الله على الناس ممارستها والتحلي بها.

فبالزواج إذا يحقق العبد معنى العبودية لله تعالى ، والالتزام بما كلفه به ، ودعاه إليه، لأن الزواج هو الوسيلة إلى تحصين النفس ، وتكثير النسل ، وإقامة صرح الفضيلة، وقمع الرذيلة. وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم المعاشرة الزوجية ، وهي من ثمرات الزواج عبادة ، فقال : " وفي بضع أحدكم صدقة " قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ، ويكون له بها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " (رواه مسلم) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعكاف بن وداعة ، وقد أتاه : ألك زوجة يا عكاف ؟" قال : . قال : " ولا جارية ؟ " قال : لا . قال : " ,أنت صحيح موسر ؟" قال : نعم ، والحمد لله ، قال : " فأنت إذا من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم ، وإن كنت منا ، فاصنع كما نصنع ، فإن من سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، وإن أرذل موتكم عزابكم " (أخرجه أحمد ، وابن أبي شيبه ، وابن عبدالبر) .

وهذا الحديث ، وإن كان في اسناده بعض المقال ، فإن معناه مستقيم، فإن الزواج من سنن الهدى ، والتبتل ليس من سنة الإسلام. فإذا كان الزواج عبادة علمنا أنه ضرورة اجتماعية ودينية محققة . وفي خاتمة هذا المطاف بين دواعي الزواج ، ومقتضياته ، ننقل كلاما نفيسا في هذا المجال للإمام الغزالي رحمه الله تعالى يؤكد كثيراً مما قلناه .

قال رحمه الله تعالى : في فوائد النكاح : وفيه فوائد خمسة :

الولد ، وكسرة الشهوة ، وتدبير المنزل ، وكثرة العشيرة ، ومجاهدة النفس بالقيام بهن.

الفائدة الأولى :

الولد : وهو الأصل ، وله وضع النكاح ، والمقصود إبقاء النسل ، وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس ، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة.

وقال : وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه ، هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة ، حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزباً.

الأول : موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثاني : طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته.

الثالث : طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

والرابع : طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

أما الوجه الأول ، فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير ، وهو أحقها وأقواها عن ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ، ومجاري حكمة :

وبيانه ، أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث، وهيأ له أرضاً مهيئة للحراثة، وكان العبد قادراً على الحراثة ، ووكل به من يتقاضاه عليها، فإن تكاسل، وعطل آلة الحرث، وترك البذر ضائعاً حتى فسد ،

ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقاً للمقت والعتاب من سيده.

والله تعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكر والأنثى ،وخلق النطفة في الفقار ، وهيأ لها في الآنثيين عروقاً ومجاري ، وخلق الرحم قرارا ومستودعاً للنطفة ، وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى.

فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن قرار خالقها ، وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له.

هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال : " تناكحوا تكاثروا " فكيف وقد صرح بالأمر ، وباح بالسر ، فكل ممتنع عن النكاح معرض علن الحراثة ، مضيع للبذر ، معطل لما خلق الله من الآلات المعدة ، وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على الأعضاء بخط إلهي ، ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية، ولذل عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد ، وفي الوأد ، لأنه منع لتمام الوجود ، وإليه أشار من قال : " العزل أحد الوأدين (أخرجه مسلم ، ولفظه ، الوأد الخفي) فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه، والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ، ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالإطعام ، وعبرة عنه بعبارة القرض، فقال : " من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً " (البقرة : 245) .

خاتمة في بعض مضار العزوبة :

العزوبة : ترك الزواج . والرجل عزب ، والمرأة عزبة ، وعزب.

والعزوبة في الجملة مناهضة لموقف الشرع ، من حيث ترغيبة في الزواج، وحثه عليه.

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل ، ورد على أصحابه الذين تعاهدوا على ترك الزواج ، وعد ذلك مخالفة لسنته.

وقال : " من رغب عن سنتي فليس مني " . وقال : شراركم عزابكم ".

والأمر في هذا واضح ، فإن العزوبة تنافي كل المبررات التي ذكرناها، للزواج، ورأينا أنها تجعل منه ضرورة دينية واجتماعية . ونضيف إلى ذلك بعض الأخطار التي تترتب على انتشار العزوبة بين الشباب والشابات ، والميل إليها ، وتفضيلها على الزواج لأي سبب، أو تحت أي شعار.

أولاً :- الكبت :

إن العزوبة بني الرجال والنساء تعني الكبت لكل العواطف الكامنة في فطرة هذا الإنسان من حب الولد وقضاء الوطر. وبث روح التعاون والتراحم والطمأنينة والأنس بين العباد.

وإذا كان في مقدور بعض الناس أن يعيش عزباً ، وينجو في نفس الوقت من الكبت، ويسلم من دوافعه وعواقبه، ويجد لعواطفه مسارب تظل في انفاقها سوية سليمة، فإنه ليس بمقدور كل الناس أن يفعل ذلك، حتى ولا ذلك : البعض يقوي أن يعيش دهره كله بعيداً عن الشعور بالحاجة إلى

الزواج ، لا تثور عليه عواطفه، ولا تصارعه غرائزه في ساعة خلوة ، أو جلوة في ساعة من ساعات ليلة مقمرة ، أو ضحوة مشرقة.

ثم إنه مهما كان لا يستطيع أن يسد على الشيطان مسالكه إلى قلبه، ويمنعه من التسلل إلى نفسه ، ليثير في ضميره الهموم، ويغمزه بأشواك الوحشة المؤلمة ، والوحدة المزعجة.

وكيف يستطيع أن يحذر وساوس الشيطان وهو – كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" يجري من ابن آدم مجرى الدم " (رواه مسلم) .

إن الكبت داء يحطم النفس، ويوزع القلب، ويذهب بالراحة، والشعور بالطمأنينة، ويدعو إلى القلق، وتجمع الهموم، والغموم، ويخرج الإنسان بذلك عن استوائة واعتداله واتزانه وسلامة تصرفاته، وصلاته بالحياة والأحياء.

ثانياً : الحرمان :

إن العزوبة تعني الحرمان من أبسط متطلبات الفطرة ، وأكثرها الحاحا وتأثيراً.

إن العزوبة تعني الحرمان من الولد ، الذي يجد الإنسان فيه امتداد العمر وبهجة الحياة .

إنها تعني الحرمان من تحصيل اللذة التي قدرها الله عز وجل في الاتصال بين الزوجين :

إنها تعني الحرمان من الظهير والنصير والمعين في أخص الخصوصيات، وفي أحلك الساعات.

أين يجد العزب المرأة الرؤوم ، والزوجة الحنون التي تمسح عن جبينه غبار التعب، وتفرج عن قلبه غوائل النصب، وتنفس عن ضميره كروب الهموم، وتشد أزره كلما غزاه بريق ضعف، أو لمع في حياته سراب فشل. أو ناء بحلم واجب، أو ثقل عليه أداء حق.

إن الزوجة العاقلة هي مفتاح الآمال، ومولد الهمم، وباعث الأشواق إلى الجهاد والعمل ، والزهرة الفواحة بالشذى ، والوردة الموحية بالأحلام السعيدة، والرؤى الصادقة.

فأين العزب من كل هذا، إنه إذا خلا شعر بالوحشة، ولم ير إلا جدران المنزل المملة والمؤرقة ، ولم ينفتح له إلا سراديب الأفكار المتضاربة، ومشاعر الأحلام المختلطة.

حقاً ، إن العزوبة حرمان بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، وتدل عليه.

ثالثاً :- القلق والأرق :

إن العزوبة على الأمد الطويل تولد في عالم النفس الشعور بالوحشة ، وتثير كل كوامن الأرق والقلق ، ولا سيما في عالم النساء، وخصوصاً إذا كبرن ، وامتدت بهن السن، وتسربت إليهن الهواجس والوساوس وغزا نفوسهن الشيطان بالمخاوف من فقدان النصير والمعيل والأنيس وإن كنت في ريب من هذا فاسأل العوانس، والأيامي إذا خلون في الحجر ، وأغلقن عليهن نوافذ البيوت، وانفرد بهن الشطيان ، سلهن ماذا يجدن، وكيف يعشن.

وسل الشباب الذين يتقلبون على الفرش، ويخبطون بالأيدي والرؤوس على الوسائد، فلا النوم يأتيهم ، ولا الأفكار والوساوس تتركهم ، ولا الشيطان يعتزلهم.

استمرار هذا الحال على هذا المنوال مؤذن بالخيال والاضمحلال ولا دواء له ، ولا شفاء إلا بالزواج المشروع. " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (النحل : 43) .

رابعاً : الفساد :

إن العزوبة بين الرجال والنساء تفتح أبواب الفساد على مصاريعها بل تخلع تلك الأبواب من أصولها، لينتشر الشر من غير حارس، ولا بواب .

إن العزوبة – على الأعم من أحوالها – تقود في نهاية المطاف إلى التحلل من قيود الفضيلة، وضوابط السلوك المستقيم، لينطلق السعار الجنسي المحموم، ذلك السعار الذي لا يقر معه قلب، ولا يسكن معه عصب، ولا يسلم منه عرض ولا شرف.

إن العزوبة التي تعيش في أوحال الإباحية، وعلى شطآن السفور والتبرج ، وفي رحاب عارضات الأزياء ، وعلى سواحل البحار حيث السابحات الفاتنات، أو في مواخير الطرب والغناء والرقص والخلاعة. إن هذه العزوبة لسوف تكسر كل طوق للفضيلة ، وتهدم كل حصن للأدب، وتزيل كل شعور بالخجل أو إحساس بالمسئولية.

إن العزوبة في مراتع الصور العارية أو شبه العارية في الصحف والمجلات والأفلام، تلك الصور التي تنطق بكل إغراء وإثارة ، وترقص بكل شهوة وأنوثة ، إن العزوبة في هذه تلك الأجواء لسوف تتخلع من كل ضوابط الإنسانية ، لتعبر عن نفسها بأبشع صور الحيوانية.

إن العزوبة في ظلال عرض الشباب لعضلاتهم في الشوارع والمجامع ، وعرض الشابات لكل مفاتنهن في كل مكان، ليطلق السعار الجنسي المحموم من كل قيد ، ويتركه طليقاً في كل أرض، وهيهات أن يسلم منه بحر أو بر ، سماء أو أرض.

إن المجتمعات التي انتشرت فيها العزوبة ، وقل فيها الرادع ، وظهر فيها الزنى لتنادي بالويل والثبور ،وتستغيث بالإنس والجان من هذا السعار المحموم، والشر المستطير ، والفساد المنتشر.

إن عالمنا الإسلامي لا يزل والحمد لله أقل المجتمعات ترويجاً للرذيلة ، وتهديماً للزواج ، وتغريباً في العزوبة ، ومع هذا فالأمر جد مخوف من عدوى التقليد ، وحب المحاكاة.

والعالم اليوم قد انكسرت فهي الحواجز ، وظهرت فيه الخفايا ، واقترب فيه الشر من الخير ، والرجس من الطهر ، والحرام من الحلال ، وغدت المعاول قريبة من كل حصن، والمتفجرات تطول كل بيت.

ففروا إلى الله أيها المؤمنون ، لتسلموا من كل شر ، وتنجوا من كل فساد ، وتحصنوا أنفسكم وأسركم من كل رذيلة.

أيها الغبورون على الأمة ، والحريصون عليها ، هلم بها إلى حصن الإسلام، وواحة الشريعة، وسلام الدين وأمنه فإنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

إن لسان حال الذين يصدون عن سبيل الله ، ويحولون دون تطبيق شرعه، ويعرقلون أسباب الزواج ، ويزهدون فيه، وينفرون منه، ويضعون العقبات في طريقه يقول : هلم إلى الفواحش وتعالوا إلى السفاح.

والله تعالى يقول : " إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون "(النور : 19) صدق الله العظيم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سدينا محمد وآله وأصحابه وسلم.